مقياس تيارات فكرية السنة الأولى ماستر ــ أدب حديث و معاصر

الأستاذة مفيدة عليوط

المحاضرة العاشرة: الإسماعيلية

يُعدّ الفكر الإسماعيلي من أكثر التيارات الإسلامية تعقيدًا من الناحية الفكرية وأكثرها ثراءً من حيث البنية الفلسفية والتنظيمية، وقد أثار هذا الفكر جدلًا واسعًا في التاريخ الإسلامي بين من اعتبره تيارًا باطنيًا فلسفيًا تجاوز حدود الشريعة، ومن رآه محاولة عقلانية عميقة لفهم الدين وربط الوحي بالعقل والتاريخ .

أولً/ السياق التاريخي

نشأ التشيّع في الأصل كاتجاه سياسي – ديني يرى أن الخلافة حقّ لعلي بن أبي طالب وأبنائه وأن أهل البيت أولى بالقيادة لما لهم من قرب من النبي صلى الله عليه وسلم، ومع مرور الزمن تطوّر هذا الاتجاه إلى مذهب عقدي له أصوله الخاصة، خاصة في مسألة الإمامة، وقد كان الإمام جعفر الصادق شخصية محورية في التاريخ الشيعي إذ تتلمذ عليه فقهاء من السنة والشيعة و بعد وفاته (148هـ) وقع الخلاف بين الاثني عشرية الذين أقروا بإمامة موسى الكاظم وبين الإسماعيلية الذين أقروا بإمامة إسماعيل بن جعفر أو ابنه و هكذا بدأت الهوية الإسماعيلية المستقلة و قد واجهت الإسماعيلية اضطهادًا شديدًا من الدولة العباسية، مما دفعها إلى اعتماد العمل

السري و بناء تنظيم دعوي معقد واستخدام الرمزية و التأويل و لهذا توصف الإسماعيلية بالغموض.

ثانيا/الإمامة في الفكر الإسماعيلي

يرى الفكر الإسماعيلي أن التوحيد والنبوة والإمامة سلسلة واحدة لا تنفصل، إذ يرون أن النبوة ضرورة لهداية البشر ومثلها الإمامة ضرورة لاستمرار فهم الدين بعد انقطاع الوحي، وقد حصروا صفات الإمام فيما يلي:

* منصوص عليه من الإمام السابق
* معصوم من الخطأ في الدين
* عالم بباطن الشريعة
* حي وموجود في كل عصر

ثالثًا/ نظرية الظاهر والباطن ومفهوم التأويل

يرى الإسماعيليون أن القرآن له ظاهر وباطن الشريعة لها شكل ومعنى والأحكام ليست غاية بذاتها بل وسائل للهداية ويستدلون بآيات مثل ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ آل عمران/7 حيث يعتبرون الإمام من الراسخين في العلم.

أما التأويل عند الإسماعيلية فليس إلغاءً للنص بل هو نقل من المعنى الحسي إلى المعنى العقلي والروحي، و مثال ذلك أن الصوم ظاهره الإمساك وباطنه كتمان أسرار المعرفة ، أما الحج فظاهره السفر و باطنه السعي إلى الإمام

رابعًا/ الفكر الفلسفي الإسماعيلي

1ــ المصالحة بين العقل والنقل: تبنّى الإسماعيليون موقفًا إيجابيًا من العقل حيث يرون أن العقل مخلوق من الله و به يُفهم الوحي و لا تعارض حقيقي بين العقل الصحيح والنص الصحيح

2ــ نظرية الفيض الكوني: تأثر الفكر الإسماعيلي بالأفلاطونية المحدثة من كون الله واحد مطلق لا يوصف و صدر عنه العقل الأول ثم النفس الكلية ثم العالم الطبيعي وهذه النظرية تهدف إلى تنزيه الله عن التشبيه و تفسير تنوع الوجود

3ــ الإنسان والمعرفة: الإنسان عند الإسماعيلية كائن عاقل يسير في رحلة من الجهل إلى المعرفة ومن الظاهر إلى الباطن ومن المادة إلى الروح

خامسا/ البناء الهرمي للتنظيم الدعوي

تميّز الفكر الإسماعيلي بتنظيم دعوي شديد الدقة، غالبًا ما كان سرّيًا، ويتدرج على النحو التالي (من الأعلى إلى الأدنى):

1ــ الإمام هو القائد الأعلى ومصدر التشريع والتأويل.

2ــ الحجّة هو ممثل الإمام وهمزة الوصل بين الإمام وبقية التنظيم.

3ــ الدعاة الكبار (دعاة الدعاة) يشرفون على الأقاليم الكبرى ويضعون الخطط الدعوية والسياسية.

4ــ الدعاة يتولون نشر الدعوة بين الناس ويعتمدون أسلوب التدرّج والكتمان

5ــ المستجيبون و هم أتباع جدد لم يطّلعوا بعد على أسرار المذهب و يُهيَّؤون نفسيًا وفكريًا للترقي في المراتب.

سادسا/ خصائص التنظيم الإسماعيلي

1ــ السرّية :لحماية الدعوة في فترات الاضطهاد.

2ــ التدرّج :لا يكشف الفكر الباطني إلا حسب مستوى العضو.

3ــ الطاعة والانضباط :ولاء مطلق للإمام والتنظيم.

4ــ المرونة السياسية :القدرة على العمل تحت سلطات مختلفة.

المراجع

1ــ محمد كامل حسين، تاريخ الإسماعيلية ـ تاريخها ، نظمها، عقائدها، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ط1، 1959.

2ــ بول ووكر، حميد الدين الكرماني ــ الفكر الإسماعيلي في عصر الحاكم بأمر الله ــ ترجمة سيف الدين القصير،دار المدى للنشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1980.